

تفسير البحر المحيط

. @ 149 @

والمسّ هنا معناه : الإصابة ، وهو حقيقة في المسّ باليد ، فهو هنا مجاز . .
وأجاز أبو البقاء أن تكون الجملة من قولهم : مستهم ، في موضع الحال على إضمار قد ،
وفيه بعد ، وتكون الحال إذ ذاك من ضمير الفاعل في : خلوا . .
وتقدّم شرح : البأساء والضراء ، في قوله تعالى : { وَالصَّابِرِينَ فِي الْبِئْسَاءِ
وَالضَّرَّاءِ } { وَزُلْزِلُوا } أي أزعجوا إعاجاً شديداً بالزلزلة ، وبني الفعل
للمفعول ، وحذف الفاعل للعلم به ، أي : وزلزلهم أعداؤهم . .
{ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ } قرأ الأعمش : وزلوا ، و : يقول الرسول ، بالواو بدل :
حتى ، وفي مصحف عبد الله : وزلزلوا ثم زلزلوا ويقول الرسول . .
وقرأ الجمهور : حتى ، والفعل بعدها منصوب إما على الغاية ، وأما على التعليل ، أي :
وزلزلوا إلى أن يقول الرسول ، أو : وزلزلوا كي يقول الرسول ، والمعنى الأول أظهر ، لأن
المس والزلزال ليسا معلولين لقول الرسول والمؤمنين . .
وقرأ نافع برفع ، يقول : بعد حتى ، وإذا كان المضارع بعد حتى فعل حال فلا يخلو أن يكون
حالاً في حين الإخبار ، نحو : مرض حتى لا يرجونه ، وإما أن يكون حالاً قد مضت ، فيحكيها
على ما وقعت ، فيرفع الفعل على أحد هذين الوجهين ، والمراد به هنا الماضي ، فيكون حالاً
محكية ، إذ المعنى : وزلزلوا فقال الرسول ، وقد تكلمنا على مسائل : حتى ، في كتاب (
التكميل) وأشبعنا الكلام عليها هناك ، وتقدّم الكلام عليها في هذا الكتاب . .
{ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ } يحتمل معه أن يكون منصوباً بيقول ، ويحتمل أن يكون
منصوباً بآمنوا . .
{ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ } متى : سؤال عن الوقت ،
ف قيل : ذلك على سبيل الدعاء لله تعالى ، والاستعلام لوقت النصر ، فأجابهم الله تعالى فقال :
ألا إن نصر الله قريب ، وقيل : ذلك على سبيل الاستبطاء ، إذ ما حصل لهم من الشدة والابتلاء
والزلزال هو الغاية القصوى ، وتناهى ذلك وتمادى بالمؤمنين إلى أن نطقوا بهذا الكلام ،
ف قيل : ذلك لهم إجابة لهم إلى طلبهم من تعجيل النصر ، والذي يقتضيه النظر أن تكون
الجملتان داخلتين تحت القول ، وأن الجملة الأولى من قول المؤمنين ، قالوا ذلك استبطاءً
لنصر وضجراً مما نالهم من الشدة ، والجملة الثانية من قول رسولهم إجابة لهم وإعلاماً
بقرب النصر ، فتعود كل جملة لمن يناسبها ، وصح نسبة المجموع للمجموع لا نسبة المجموع

لكل نوع من القائلين . .

وتقدّم نظير هذا في بعض التخاريح لقوله تعالى : { قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ } وإن قوله : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء من قول إبليس ، وإن قوله : ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك من قول الملائكة عن إبليس ، وكان الجواب ذلك لما انتظم إبليس في الخطاب مع الملائكة في قوله : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } . .

وقالت طائفة : في الكلام تقديم وتأخير ، التقدير : حتى يقول الذين آمنوا متى نصر الله ؟ فيقول الرسول : ألا إن نصر الله قريب ، فقدم الرسول في الرتبة لمكانته ، وقدم قول المؤمنين لتقدمه في الزمان . .

قال ابن عطية وهذا تحكم وحمل الكلام على وجه غير متعذر . انتهى . وقوله حسن ، إذ التقديم والتأخير مما يختصان بالضرورة . .

وفي قوله : والذين آمنوا ، تفخيم لشأنهم حيث صرح بهم طاهراً بهذا الوصف الشريف الذي هو الإيمان ، ولم يأت ، حتى يقول الرسول وهم ، وهذا يدل على حذف ذلك الموصوف الذي قدرناه قبل مثل محنة المؤمنين الذين خلوا . .

قال ابن عطية : وأكثر المتأولين على أن الكلام إلى آخر الآية من قول الرسول ، والمؤمنين ، ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر ، لا على شك ولا ارتياب ، والرسول اسم الجنس ، وذكره الله تعظيماً للنازلة التي دعت الرسول إلى هذا القول . انتهى كلامه . . واللائق بأحوال الرسل هو القول الذي ذكرنا أنه يقتضيه النظر ، والرسول كما ذكر ابن عطية اسم الجنس لا واحد بعينه ، وقيل : هو اليسع ، وقيل : هو شعيب ، وعلى هذا يكون الذين خلوا قوماً بأعيانهم ، وهم أتباع هؤلاء الرسل . .

وحكى بعض المفسرين أن الرسول هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم) ، وأنزلة ، هنا مضافة لأمته ، ولا يدل على ما ذكر سياق الكلام ، وعلى هذا القول قال بعضهم ، وفي هذا الكلام إجمال ، وتفصيله أن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم) قالوا : متى نصر الله ؟ فقال الرسول : ألا إن نصر الله قريب . .

فتلخص من هذه النقول أن مجموع الجملتين من كلام الرسول والمؤمنين على سبيل التفصيل ، أو على سبيل أن الرسول والمؤمنين قال كل منهما الجملتين ، فكأنهم قالوا : قد صبرنا ثقة بوعدك ، أو : على أن